التنافس الأميركي – الروسي في الشرق الأوسط في زمن بايدن

د. خطار أبو دياب
أستاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للجيوبوليتيك - باريس

أبدى جو بايدن حرصه، منذ إعلان فوزه بالرئاسة الأميركية، على طمأنة قادة العالم، خصوصا الحلفاء، بأن الولايات المتحدة عائدة، وسوف تقود العالم مجدّدا بعد الحقبة الترامبية الاستثنائية. لكن طموح الإدارة الجديدة من أجل تقوية القيادة الأميركية العالمية وترميم سمعة الولايات المتحدة، داخليا وخارجيا، يصطدم بوقائع المتغيرات العالمية في السنوات الأخيرة وصعود الصين وروسيا تحديدا.

التعارض الأهم لحقبة بايدن مع الإرث الترامبي يكمن في الملف الإيراني وحرب اليمن أما حول التطبيع الإسرائيلي مع دول عربية وملفات سوريا والعراق والحرب ضد الإرهاب وليبيا ستكون الاستمرارية هي السمة السائدة

إزاء ارتسام التجاذب بين واشنطن وموسكو، سيكون الشرق الأوسط أحد المسارح البارزة للبدايات الصعبة بين سيدي البيت الأبيض والكرملين. وإذ نسمع الكثير من الجعجعة أو الضجيج من الجانب الأميركي في ملفات حساسة، يبدو الجانب الروسي مصمما على التمسك بمكاسبه وربما تعزيزها. ولذا سيحتدم الصراع العالمي على ضفاف الخليج العربي وفي بقاع المشرق وفي سنوات بايدن لن تكون المهمة سهلة في سياق اختبار القوة الأميركي – الروسي.

اتسمت العلاقة بين واشنطن وموسكو باستمرار التوتر خلال الولاية الأميركية السابقة، لكن للمفارقة لم تهتز الصِّلة الشخصية بين دونالد ترامب وفلاديمير بوتين. ومن اللافت أن عهد ترامب بدأ في 2016 مع اتهام روسيا بالتدخل في حرب إلكترونية لصالحه، وانتهى أواخر 2020 مع اعتراف واشنطن باختراق سيبراني هائل وأيضا كانت روسيا موقع الشك الأول. ومع وصول الإدارة الديمقراطية الجديدة، بدت موسكو حذرة من توجهاتها ومن العودة إلى نهج مؤسساتي في العلاقات والأولويات الأميركية. لكن للوهلة الأولى، أعطى بايدن إشارة إيجابية بعد أيام على تمركزه في البيت الأبيض مع تسهيل توصل البلدين إلى اتفاق حول تمديد معاهدة نيو ستارت حول الأسلحة الإستراتيجية الهجومية. وحيال التساؤل عن السبب وراء اتصال أجراه بايدن مع بوتين، وكان أول اتصال له مع زعيم عالمي، فسر البعض ذلك دليلا على الاهتمام بالصلة مع موسكو، لكن ضغط عامل الوقت لإنجاز التجديد.

وبرز بعد ذلك التشدد الأميركي إثر تطورات قضية نافالني التي أخذت تلقي بثقلها على مجمل العلاقات الروسية – الغربية. وزادت الأمور تدهورا بعد مداخلات بايدن وردة فعل موسكو. وكان بايدن مباشرا ولهجته حازمة عند تطرقه إلى العلاقة مع موسكو خلال أول خطاب دبلوماسي له منذ توليه الرئاسة، إذ أعلن عن عهد جديد في السياسة الخارجية الأميركية. وقال بايدن حرفيا إنه أبلغ نظيره الروسي فلاديمير بوتين بأن أيام تراجع الولايات المتحدة في مواجهة ما وصفها بأنها أفعال عدائية من جانب روسيا قد ولت. ولم تتأخر ردة فعل الكرملين الذي وصف التصريحات التي أدلى بها بايدن بـ"الخطاب العدواني وغير البناء"، مشيرا إلى أنه لن يتهاون مع أي إنذارات أميركية.

ستنعكس هذه الأجواء على الصفيح الساخن للشرق الأوسط الملتهب خصوصا في الملف الإيراني والنفوذ الروسي في سوريا والملف الليبي والعلاقة مع تركيا ومستقبل الصراع الإسرائيلي – العربي بالإضافة إلى صراعات النفوذ والطاقة من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر.

لا يتمسك الفريق الجديد للسياسة الخارجية في واشنطن بكل ما أنجزه الثنائي ترامب – كوشنير خصوصا تشريع ضم الجولان والملف الفلسطيني.

واللافت أن وزير الخارجية بلينكن يتحدث عن "السلام" بين إسرائيل والفلسطينيين بطريقة مختلفة ظنّت إسرائيل أنها انتهت بعد "صفقة القرن" واتفاقات التطبيع مع دول عربية خليجية وأخرى أفريقية.

التعارض الأهم مع الإرث الترامبي يكمن في الملف الإيراني وكذلك حرب اليمن والموقف من المملكة العربية السعودية، أما حول التطبيع الإسرائيلي مع عدة دول عربية وملفات سوريا والعراق والحرب ضد الإرهاب وليبيا ستكون الاستمرارية هي السمة البالغة.

حيال التموضع الأميركي الجديد الملتبس أو المتردد بالنسبة إلى العديد من الأطراف المعنية، تبدو روسيا بوتين واثقة من خياراتها وقدرتها على التكلم مع الجميع وأن تكون صديقا أو محاورا لكل الأطراف الرئيسية من إيران إلى إسرائيل وتركيا ومصر والمملكة العربية السعودية والجزائر.

ومما لا شك فيه أن الملفات الخلافية تتزايد عالميا: الحرب الإلكترونية والسيبرانية بين واشنطن وموسكو وأثر العقوبات الأميركية والخلاف حول أوكرانيا وتوسيع حلف شمال الأطلسي وموقف واشنطن ضد خط السيل الشمالي للغاز الروسي نحو ألمانيا، بالإضافة إلى التناغم الصيني – الروسي والملف الكوري الشمالي وأخيرا الموقف من انقلاب ميانمار.

إنها حرب باردة جديدة في شكلها تمثل واشنطن طرفا فيها لمواجهة الصين وروسيا سويا أو بشكل منفرد. ويضع كل ذلك على المحك مبادئ بايدن المنتمي إلى ما يُعرف بالمدرسة الليبرالية في السياسة الخارجية، التي تعتبر أن التعاون، وليس الصراع، هو الأصل في العلاقات الدولية وأهمية وجود منظمات دولية تعمل على حماية السلم والأمن الدوليين، وتساعد في مواجهة التحديات العالمية التي لا يمكن لدولة واحدة مواجهتها بنفسها.

عمليا في الشرق الأوسط، لن تكون دروب بايدن معبدة وسهلة، وأنه ربما يكون أخطأ في تحديد أولوياته. وحسب مصدر أميركي "كانت هناك صدمة عندما لم يذكر بايدن في خطابه الأول الذي ألقاه في وزارة الخارجية إسرائيل وإيران، في حين انتقد الحليفة المزمنة لبلاده أي المملكة العربية السعودية ودعا إلى إنهاء حربها على اليمن أو فيه، وأعلن قراره عدم بيعها أسلحة وذخائر تتصل بهذه الحرب، وفي الوقت نفسه تمسّكه بمساعدتها للدفاع عن حدودها". واستغرب مصدر آخر "سبب التركيز على السعودية رغم أنها بدأت عملية تحديث مهمة جدا اجتماعيا واقتصاديا وعن سبب تجاهل ذكر إيران وانتقادها رغم ممارساتها وانتهاكاتها وسجلها في مجال الحريات على أنواعها".

والأدهى بالنسبة إلى فريق بايدن أن الحليف الإستراتيجي الأول للولايات المتحدة في الشرق الأوسط إسرائيل ترى في إيران خطرا مباشرا عليها وتخشى من صفقة جديدة لا تراعي مصالحها وتجعل "الشرق الأوسط بحيرة نووية من دون ضوابط" حسب تعبير خبير أوروبي.

في مقاربة الملف الإيراني تناور موسكو للحفاظ على شراكتها مع طهران دون الوصول إلى تعارض أو صدام مع واشنطن، وهي من خلال توثيق علاقاتها بالدول العربية في الخليج توسع رقعة علاقاتها وتنافس الهيمنة الأميركية التي سادت منذ سبعينات القرن الماضي. وفي الملف السوري، يبقى الاختراق الروسي بحاجة لوفاق مع واشنطن لمنحه إكسير الدوام. وفي الملفين السوري والليبي كما ملف شرق المتوسط ستكون العلاقة الروسية – التركية تحت مجهر إدارة بايدن. وكل ذلك سيزيد من التشابك في ملفات الشرق الأوسط التي يمكن أن تتعقد من دون استئناف الحوار الروسي – الأميركي والمساومة بين الجانبين.

اعتبر بايدن أن "روسيا مصممة على إلحاق الأذى بالولايات المتحدة وديمقراطيتها"، ومن الواضح أن قدرة روسيا على إيذاء الغرب تفوق قدرتها على منافسته (على عكس قدرة الصين). وينطبق ذلك على الشرق الأوسط حيث سيكون التنافس الحقيقي بين الولايات المتحدة والصين.

تبدو المبارزة الأميركية – الروسية واضحة حول منظومة القيم وأساليب العمل وتناقض المصالح على أكثر من مسرح، ويبدو أن إدارة بايدن لا تطبق أسلوب إدارة أوباما في أول عهده حينما سعى لإعادة ترتيب العلاقة مع روسيا، بل تشبه أكثر نهج إدارتي بوش الابن وكلينتون في محاولة منع روسيا من العودة بقوة إلى المسرح الدولي، أما موسكو فلا ترغب إطلاقا بالمساومة وتصر على تطبيع ممكن للعلاقات الثنائية بناء على الاحترام المتبادل وتوازن المصالح في عالم أكثر اضطرابا.

عنف الإسلاميين يخفف الضغط عن الجيش السوداني

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

قررت السلطة الانتقالية في السودان مواجهة حزب المؤتمر الوطني الذي حكم خلال عهد الرئيس السابق عمر البشير، ومعاقبته بشكل أكثر ضراوة كذراع سياسية لجماعة الإخوان المسلمين في البلاد، عقب فترة من الارتباك أوحت لكثيرين بأن الجناح العسكري في السلطة الحاكمة يتجنب فتح هذا الملف على مصراعيه.

فرضت أحداث عنف قامت بها قيادات المؤتمر الوطني (المنحل) وكوادره أخيرا على المكون العسكري عدم الصمت طويلا، حيث تسببت فلول البشير في توتير الأوضاع في عدد من المدن السودانية، وقام عناصرها بحرق بعض المنشآت الحكومية والخاصة وتدميرها وتحريض المواطنين على التذمر.

يؤدي أي صمت أو تجاهل لهذه التصرفات إلى حدوث ارتدادات سلبية على قيادات رفيعة في الجيش، ويتم تكريس اتهامات سابقة بتواطؤ البعض فيه مع الحركة الإسلامية بالسودان، لذلك جرى القبض على العشرات من المنتمين إليها، ليضافوا إلى عشرات سبق إلقاء القبض عليهم، علاوة على البشير المطلوب أيضا مثوله أمام المحكمة الجنائية الدولية، وهناك انقسام حول تسليمه أو محاكمته في الداخل.

شهدت الأيام الماضية تراشقات حول آليات عمل لجنة إزالة التمكين واسترداد الأموال، ووجهت قوى مدنية للجيش تهما مباشرة بعدم الجدية في التعامل معها، ما جعل الحكومة تدخل على الخط، وترمي بثقلها لسحب البساط من تحت أقدام الشق العسكري في قضية تمثل عصب الثورة في السودان، بما يقلل من شعبية الجيش في الشارع، ويمنح المزيد من الثقة للحكومة والتعويل على قدرتها في حل القضايا الشائكة.

بصرف النظر عن التوترات المعلنة والمكتومة بين المكونين حول قضايا مختلفة، يظل التعامل مع فلول البشير ملفا ملغوما، ومحاطا بكثير من الغموض لدى المكون العسكري، ويؤثر الأداء المتكاسل على مستقبله، إذا كان طامحا وطامعا في السلطة، من هنا قرر عدم التهاون، وتحويل ورقة الإسلاميين إلى رأس حربة في يده بدلا من أن تصبح سيفا مسلطا على رقبة قياداته.

رغم تأكيدات البرهان بتسليم السلطة لقيادة مدنية في النصف الثاني من مدة المرحلة الانتقالية إلا أن بعض المؤشرات لم تخف رغبته في الاستمرار كرئيس لمجلس السيادة وعدم التنازل عن مقعده

أدركت قيادات رفيعة أن الحسم مع التيار الإسلامي يمكن أن يكون عملية رابحة، من جهة نفي العلاقة معه أمام الشارع وتفويت الفرصة على القوى المدنية التي أرادت تسويق فكرة وجود نوايا داخل الجيش لعودة نظام البشير، الأمر الذي يلهب الشارع ويصور الشق العسكري في مجلس السيادة على أنه يدعم التيار الإسلامي.

يتجه رئيس مجلس السيادة الفريق أول عبدالفتاح البرهان إلى خطف هذه الورقة، وبدلا من أن تُحسب عليه يعمل على أن تكون في صالحه، ما يتطلب خوض مواجهة مضنية حتى آخرها، ويمكن أن تشهد المزيد من التوترات، لأن فلول البشير بأطيافها الإسلامية لن تتحمل إقصاء منظما، وسوف تلجأ إلى ممارسة عنف ممنهج وتتخلى عن العنف العشوائي الذي شهدته مدن في شرق السودان وغربه.

يبرر عنف هؤلاء استخدام عنف مضاد من قبل الأجهزة الأمنية لتستقر الأوضاع، لكنه قد يؤدي إلى اتساع دائرته الجهنمية ويظهر الإرهاب في ربوع السودان الحافل بقوى متشددة كوسيلة معروفة لدى القوى الإسلامية عندما تتراجع الحيل السياسية، بالتالي تبدو هناك حاجة قوية إلى القبضة العسكرية وتتوارى الأدوات السلمية.

رغم تأكيدات البرهان بتسليم السلطة في البلاد لقيادة مدنية في النصف الثاني من مدة المرحلة الانتقالية، إلا أن بعض المؤشرات لم تخف رغبته في الاستمرار كرئيس لمجلس السيادة وعدم التنازل عن مقعده، وربما تمهيد الأجواء ليكون رئيسا منتخبا بعد ذلك من خلال عملية سياسية يخلع فيها بزته العسكرية، ويلتزم بشكل ديمقراطي يخفف حدة الرفض المتوقع.

لن يستطيع تمرير سيناريو من هذا النوع بسهولة، إلا إذا كانت هناك دوافع ضرورية، فقد نجحت المؤسسة العسكرية في كسب تأييد شعبي في المعارك الدائرة لاسترداد أراض سودانية تقع تحت السيطرة الإثيوبية في شرق البلاد، لكنها غير كافية للمطالبة باستمرار الفريق البرهان في سدة السلطة، ففي النهاية يخوض الجيش معركة هي من صميم دوره في حماية الوطن، وقد يراها البعض مُختلقة لتعويمه سياسيا.

تمثل مواجهة فلول البشير أم المعارك السياسية في السودان، والتي لم ينتبه لها المكون العسكري في البداية، أو حاول تأجيلها والتسويف فيها، على أمل تثبيت أقدامه دون اللجوء إلى ورقة يمكن أن يترتب عليها إزعاج في صفوفه.

فرضت قواعد اللعبة بين المكونين العسكري والمدني عدم الدخول في ملفات صدامية بعد الثورة، وحاول كل طرف الانحناء للعواصف، لأن المواجهة تؤثر على كليهما، في فترة يحاول فيها السودان استعادة توازنه السياسي والأمني والاقتصادي، وتنحية ورقة البشير وفلوله واستخدامها عندما يجد فيها أحد الطرفين وسيلة لغايات أخرى، ففي كل جانب عناصر تعتقد بأهمية المصالحة مع القوى الإسلامية.

خاب ظن هؤلاء، على الجانبين، وسط الأزمات المعقدة التي تمر بها البلاد، ولم يجد كلاهما سوى هذه الورقة لتوظيفها سياسيا، حتى خرجت من الخفاء إلى العلن، عقب قيام فلول البشير بارتكاب أعمال عنف متفرقة يمكن أن تقود إلى إلحاق أذى بالطرفين، إذا جرى الصمت عن الجرائم التي باتت واضحة للعيان.

فرضت ممارسة العنف الواسع إجراءات صارمة، وهو ما وضع الكرة في ملعب المكون العسكري الذي وجد أمامه أحد خيارين، إما التهاون وانفلات الأمور من عقالها ويتضرر الجميع، أو التدخل واستثمار هذه الورقة لنفي ما يتردد عن صفقات مشبوهة بين الجيش وبقايا نظام البشير، وكسب المزيد من الشعبية في الشارع.

اختار رئيس مجلس السيادة الحل الثاني، والذي لم تختلف معه الحكومة في كثير من مقاطعه، وجرت اعتقالات كثيرة لقيادات متعددة في حزب المؤتمر الوطني مؤخرا، وبدا الجيش أكثر مصداقية في دعم توجهات الثورة، لأن طريقة التعامل مع فلول البشير تراها قوى مدنية مقياسا أصيلا لدرجة الولاء للثورة.

لذلك سيتعامل المكون العسكري بمزيد من القسوة مع حزب المؤتمر الوطني وحسم في ملف إزالة التمكين، لأنه يعرف المفاتيح الرئيسية، ومناطق الخطورة والضعف في الأجنحة المسلحة والسياسية، كي يتمدد البرهان في النسيج المدني المتشكك فيه، وقبل أن تتلقى القوى الإسلامية دعما معنويا من الإدارة الأميركية.

ويصبح الموقف عصيا على الاحتواء والتطويق، فتسخين هذه المساحة من جانبه يمكن أن يضمن له دعما في الأوساط الشعبية، ويخفف الضغوط عن المكون العسكري الذي من المرجح أن يتحول إلى ملاذ لمؤيدي الثورة في مواجهة تأجلت كثيرا.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk